الخاتمـــة

عندما نتكلم عن أحدهم بضمير الغائب فهذا
يعني أنه ليس موجوداً

Amélie Nothomb, Antéchrista

إن مراقبة الحركات أو الخصائص المورفولوجية القابلة للتبدل هو اختصاص لم تضبط قواعده بعد. فهو ليس اختصاصاً في الإتنولوجيا أو اختصاصاً يدرس للأخصائيين بالجنس البشري. وكأن المرئي قد مُحي لصالح اللا مرئي. لقد تقلصت الحياة النفسية إلى مظاهرها السلوكية أو النفسية الذاتية. ويغيب عموماً الجسد الموضوعي عن اللعبة بامتياز. تعتبر رسمة الشفتين مكسباً مورفولوجياً مبرمجاً بصورة مسبقة وليس له علاقة سببية مع التطور النفسي للفرد. وتعتبر دراسة الخصائص المتطورة للمورفولوجيا الإنسانية استبصاراً. هنا نهاية الخط، ينزل جميع الركاب. أعتقد أن نجاح مؤلفات ديزموند موريس ونجاح مؤلفاتي وأعمال بول إيكمان في الولايات المتحدة (لا يتسع المجال هنا لذكر جميع الأسماء) تبرهن على أنه ثمة ميدان معرفي ما زال مجهولاً ويستحق أن يستثمر فيما يتعدى المنشورات الموجهة لجمهور عريض.

ما سبب غياب الفضول عند السواد الأعظم من الناس؟ إن حالة بعض مجالات المعرفة كحالة الواقيات الذكرية. فوزارة الصحة تنشر الدعايات للوقاية من الأخطار المتعلقة بالأمراض التي تنتقل عن طريق الجنس، ولكن الواقيات الذكرية باهظة الثمن بالنسبة للمراهقين الذين هم أكثر المستهلكين لها. ولولا جهد كريستوف دو شافان الجهيد، وهو منشط برامج تلفزيونية، لما بيع الحاجز الذكري في الصيدلية بسعر ٠,٢٠ سنتيم. إنه يستحق التصفيق! والدولة كالأكاديمية لا تختلف عنها في شيء. إن أرباح الدولة أهم من الصحة العامة. والعلماء لم يحبوا قط القارات العذراء، فهم يؤثرون الكلام عما يعرفونه ولا يفضلون التحدث عما يجهلونه.

يستحق جسدك، هذا الشيء المتحرك، أفضل من «إنه جميل، بشع، سمين، نحيف، طويل، قصير». إنه يستحق كلمة «أنت» تقال له بحب لأنه يشتمل على شيء أفضل من عشرات الكيلوغرامات من اللحم أو من العظام التي هي قوام بنيانك.

ليس جسدك واجهة لزهوك فحسب، بل هو أيضاً وخصوصاً محراب نفسك.

جوزيف ميسنجر

obeikandl.com